تأريخ التصوف بين أبي نعيم (ت٤٣٠هـ) وابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) (إشكالية السرد التاريخي)

د. خالد بن سليمان الخطيب [١]

ملخص:

يعد المنهجي التأريخي الوصفي من أهم المناهج في توضيح الظواهر والسلوكيات في المجتمعات، وقد كان للمؤرخين في الإسلام دور كبير في تأريخ ووصف التصوف باعتباره مسلكاً دينياً وظاهرة اجتماعية ونظراً لتباين وجهات النظر في سرد تأريخ التصوف والمتصوفة فقد كان لابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة انتقادات منهجية على منهج أبي نعيم في تأريخه للتصوف في كتابه الحلية، وفي هذا البحث تبين دقة منهج ابن الجوزي في تعقباته لأبي نعيم سواء في السرد التأريخي، أو ما فات أبي نعيم في نقد مسالك المتصوفة.

الكلمات المفتاحية: أبو نعيم الأصفهاني ٤٣٠هـ- ابن الجوزي ٥٩٧هـ- مفهوم التصوف وأركانه- الزهد- التوكل.

The History of Sufism between Abu Nueim Al-Asfahani (430 H) and Ibn Al-Juzi (597 H) (the Problem of Historical Narration)

Abstract:

The descriptive historiographical methodology is one of the most important approaches used to explain and justify phenomena and behaviors in societies. Historians in Islam have had a major role in the history and description of Sufism as a religious approach and a social phenomenon. Due to the divergence of views in the narration of the history of Sufism and Sufis, Ibn Al Jawzi, in his book "Safwat Al-Safwa", had

(١) الأستاذ المساعد بقسم العلوم الإسلامية – كلية الملك عبد العزيز الحربية – الرياض- المملكة العربية السعودية dr-khaled-kh@hotmail.com.

(ISSN: 2536 - 9555)

methodological criticisms on Abi Naim's approach in his narrating of Sufism in his book Al-Hilya. This research reveals the accuracy of Ibn al-Jawzi's approach in his pursuit of Abi Naim, whether in the historical narrative, or criticizing the approaches of Sufis, which Abi Naim missed.
Key words:
Abu Nueim Al-Asfahani (430 H) - Inn Al-Juzi (597 H) - Concept of Sufism and its fundamentals - Asceticism – Trust.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،

وبعد،،،

فقد أرسل الله رسوله بدين الحق ليظهره على الدين كله، فكان منه عليه الصلاة والسلام أن نصح الأمة وأدى الأمانة وتركهم على المحاجة البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك، ثم شاء الله أن تتفرق الأمة ويحصل النزاع فظهرت كثير من المذاهب والفرق التي انحرفت عن الصراط المستقيم، وكان من هؤلاء المتصوفة الذين تفرقوا فرقاً ومذاهباً، وقد كان من واجب علماء الإسلام إيضاح الحق ورد الباطل، وكان منهم عالمين جليلين كان لهما دور بارز في نقد التصوف، ومحاولة تصحيح مساره، وهما أبو نعيم الأصبهاني ٤٣٠هـ، وابن الجوزي ٥٩٧هـ، وقد كان لأبي نعيم قصب السبق في كتابة تأريخ التصوف وجمع أخبار الزهاد والمتصوفة في كتابه:"حلية الأولياء"، ونظراً لوقوعه في بعض الأخطاء في السرد التاريخي للتصوف ورجالاته، فقد تعقبه ابن الجوزي بتعقبات أوضح ما وقع فيه سابقه من إشكالات، وقد كان هذا سبباً في تهذيبه للحلية في كتاب:" صفة الصفوة "الذي استفاد فيه من أبي نعيم، وتعقبه وزاد عليه، ونظراً لما في هذه القراءات السردية التاريخية من فوائد جمة في تصحيح المسار، وتوضيح المنهج الصحيح فقد رأيت

من الأهمية إيضاح هذا في البحث الموسوم بـ"تأريخ التصوف بين أبي نعيم الأصبهاني وابن الجوزي".

والهدف منه دراسة مناهج البحث التأريخي بين عالمين مؤرخين وتوضيح إشكالية السرد التأريخي بينهما.

الدراسات السابقة:

على حد اطلاعي لم أجد دراسة تناولت موضوع تأريخ التصوف بين أبي نعيم (ت٤٣٠هـ) وابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، (إشكالية السرد التاريخي)، غير أن هناك دراسات لامست أبا نعيم وابن الجوزي دون التعرض لموضوع بحثي هذا، ومنها:

١- منهج النقد عند الحافظ أبي نعيم الأصفهاني د. محمد مغراوي، وهي رسالة دكتوراة طبعت عام ١٤٢٨هـ، عن مركز الثعالبي – الجزائر.

٢- مقدمة كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي وهي رسالة علمية في تحقيق الكتاب وبيان منهجه للدكتور: علي السحيباني، والدكتور: أحمد المزيد، طبعت عام ١٤٣٧هـ.

والدراستان لا تتعارضان مع موضوع بحثي، حيث إن هذا البحث يعالج تأريخ التصوف بين أبي نعيم (ت٤٣٠هـ) وابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)(إشكالية السرد التاريخي)، ويركز على الفارق بين العالمين، وأيضاً يظهر بعض إشكاليات السرد التاريخي لهما من خلال مؤلفيهما.

خطة البحث:

انتظم البحث في مقدمة وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشمل أهمية البحث وهدفه والدراسات السابقة.

التمهيد: ويشمل:

أولاً: ترجمة أبي نعيم الأصفهاني، وتعريف بكتابه "حلية الأولياء ".

ثانياً: ترجمة ابن الجوزي، وتعريف بكتابه "صفة الصفوة".

(ISSN: 2536 - 9555)

المبحث الأول: عرض آراء ومنهج أبي نعيم في التصوف

المطلب الأول: مقاصد التأليف عند أبي نعيم في كتابه الحلية.

المطلب الثاني: مفهوم التصوف واشتقاقه.

المطلب الثالث: أركان التصوف وأنواع كلام الصوفية.

المطلب الرابع: أقسام الصوفية.

المبحث الثاني: دراسة آراء وتعقبات ابن الجوزي على أبي نعيم

المطلب الأول: الرد على أبي نعيم في خلط التصوف بالزهد، وإيراده الصحابة من جملة الصوفية.

المطلب الثاني: الرد على أبي نعيم في مفهوم التوكل.

المطلب الثالث: الرد على أبي نعيم في مسألة إضاعة المال.

المطلب الرابع: تعقب أبي نعيم في سمات التأليف.

المطلب الخامس: تعقب أبي نعيم في أشياء فاتته.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، ثم قائمة المراجع.

التمهيد

أولاً: ترجمة أبي نعيم الأصفهاني، وتعريف بكتابه "حلية الأولياء":

هو أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق المهراني الأصبهاني[٢]، فارسي الأصل، ولد في سنة ٣٣٦هـ، وتوفي سنة ٤٣٠هـ[٣]، قال عنه ابن عساكر[٤]: "الشيخ الإمام، واحد عصره في فضله وجمعه، صنف التصانيف

٢- يقال: أصفهاني. معجم البلدان (٢٠٦/١).

٣- سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٦)، ووفيات الأعيان (٤٤٥/٣).

٤- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، من بيت كريم الأصل معروف بالفضل، متصل بالعلم، تتلمذ على أبيه وأخيه في بداية عمره، ثم تتلمذ على عدد ضخم من شيوخ دمشق وعلمائها، وكان كثير الرحلة في طلب العلم، فرحل إلى بغداد، ثم إلى الحجاز، ثم

المشهورة وشاع ذكره في الآفاق"[٥]، ويقول ابن خلكان [٦]: "من أكابر الحفاظ الثقات"[٧].

وقال ابن تيمية [٨]: "من أكبر حفاظ الحديث، ومن أكثرهم تصنيفاً، وممن انتفع الناس بتصانيفه".[٩]

عاد إلى بغداد، ثم دمشق، ثم رحل إلى إيران وخراسان أصبهان وهمدان وأبيورد وبيهق والري ونيسابور وسرخس وطوس. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٢١٦/٧)، وتذكرة الحفاظ (٨٢).

٥- تبيين كذب المفتري (٢٤٦).

٦- هو شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الإربلي الشافعي، قاضي دمشق وعالمها ومؤرخها، ولد في العراق بمدينة أربيل، ويتصل نسبه بالبرامكة، ودرس في عدة مدارس لم تجتمع لغيره، وقد انتقل إلى مصر وعاد إلى الشام، ثم عاد إلى مصر ثم الشام، وكان ابن خلكان من بيت معروف بالفقه والمناصب الدينية، وتوفي ابن خلكان في سفح قاسيون في دمشق في سنة ٦٨١هـ، ويبلغ من العمر ثلاث وسبعون سنة، وكان كريماً فيه ستر وعفو وحلم، وحكاياته في ذلك مشهورة، له من المصنفات، كتاب وفيات الأعيان، وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً.انظر: البداية والنهاية (٣٠١/١٣)، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٣٥٣/٧)، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر (٣٤٧)، وطبقات الشافعية ((١٦٨/٢)، وفيات الأعيان((١/١).

٧- وفيات الأعيان (٩١/١).

٨- هو أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، شيخ الإسلام، أخذ عما يزيد من مئتي شيخ، نشأ في بيئة علمية، وبدأ في تحصيل العلم في سن مبكر، وبرع فيه، وتميزت حياة شيخ الإسلام، بأنها كانت حياة جهاد وعلم، وقد أشتهر بالرد على الفرق المنحرفة، وقد توسع في الرد على الفلاسفة والأشاعرة والصوفية فخلف تراثاً فكرياً هائلاً دارت حوله كثير من الدراسات من المسلمين والمستشرقين، وقد امتحن في حياته وسجن أكثر من مرة، وتبوأ الشيخ مكانة علمية في وقته ومنزلة عظيمة لم يبلغها أحد من علماء عصره، من مؤلفاته: الاستقامة، وبغية المرتاد، الرد على المنطقيين، درء تعارض العقل والنقل وغيرها الكثير، توفي في ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ

(ISSN: 2536 - 9555)

وأما كتابه الحلية: فهو من أشهر المصنفات في عهده، وقد عرف به فيقال صاحب الحلية[١٠]، وقد بلغ من أهمية الكتاب أن حمل إلى نيسابور فاشتروه بأربعمائة دينار[١١].

والحلية كما يقول السخاوي:" كتاب حافل، وهو عمدة كل ما جاء بعده"[١٢]، ومع أن موضوع الكتاب قد صنف فيه قبله إلا أن أبا نعيم قد فاق غيره بحيث أنه جمع في التراجم من الآثار والنقول مالم يجمع أو يسبقه أحد، ولذا تفرد في بابه، وسيأتي بيان منهجه وآرائه في الكتاب في المبحث الأول إن شاء الله*.

ثانياً: ترجمة ابن الجوزي، وتعريف بكتابه "صفة الصفوة"

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ولد في بغداد سنة ٥٠٨هـ، لم يرحل ابن الجوزي في طلب العلم، توفي سنة ٥٩٧هـ *، قال ابن خلكان: " كان علامة عصره و إمام وقته في الحديث، وصناعة الوعظ، وصنف في فنون عديدة "[١٣].

وكان معتقلاً في قلعة دمشق، وكان يوماً مشهوداً انظر: البداية والنهاية (١٣٥/١٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥٦/٢١)، شذرات الذهب (٨٠/٦)، طبقات المفسرين (٤٥/١).

٩- الفتاوى (١٧-١٨).

١٠- سير أعلام النبلاء (٤٥٤/١٧).

١١- المرجع السابق (٤٥٩/١٧).

١٢- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التأريخ للسخاوي (١٠٣).

*- انظر مصادر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٥٣/١٧-٤٦٤)، الأنساب (٤١)، وفيات الأعيان (٩١/١)، البداية والنهاية (٤٥/١٢).

*- العبر في خبر من غبر للذهبي (١١٨/٣).

١٣- وفيات الأعيان (١٤٠/٣).

وقال الذهبي:" الواعظ المتفنن صاحب التصانيف الشهيرة "[١٤]، خالف طريقة السلف في بعض المسائل كالصفات [١٥].

وقد صنف كتابه المشهور صفة الصفوة، بناء على طلب من أحد تلاميذه الذي سأله عن كتاب الحلية لأبي نعيم، إذ إنه كان في مقصده الرد على أبي نعيم، عن طريق مصنف يغني عن كتاب الحلية كما يقول:" وقد حداني جدك أيها المريد في طلب أخبار الصالحين وأحوالهم، أن أجمع لك كتاباً يغنيك عنه ويحصل لك المقصود منه ويزيد عليه بذكر جماعة لم يذكرهم".[١٦]

وقد تجنب ابن الجوزي ما وقع فيه أبو نعيم حيث جاء كتابه أكثر تهذيباً وأكثر فائدة.

المبحث الأول

عرض آراء ومنهج أبي نعيم في التصوف

المطلب الأول

مقاصد التأليف عند أبي نعيم في كتابه الحلية

حدد أبو نعيم في بداية كتابه مقاصد تأليفه لكتابه، وذلك على النحو التالي:

المقصد الأول: إجابة رغبة أحد المريدين في تصنيف كتاب يجمع كلام وتراجم المحققين من الصوفية، حيث يقول: "أحسن الله توفيقك، فقد استعنت بالله عزوجل، وأجبتك إلى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المحققين من المتصوفة وأئمتهم، وترتيب طبقاتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم..."[١٧].

١٤- العبر في خبر من غبر للذهبي (١١٨/٣).

١٥- الفتاوى (١٦٩/٤).

١٦- صفة الصفوة (٣٢/١).

١٧- حلية الأولياء (٣/١-٤).

(ISSN: 2536 - 9555)

المقصد الثاني: تمييز أهل الحقائق من الصوفية عن غيرهم من الأدعياء حيث يقول:"وتبرأ من المتنطعين المتعمقين، ومن أهل الدعاوى ومن الكسالى المتشبهين لهم في اللباس والمقال والمخالفين لهم في العقيدة والفعال "[١٨].

المقصد الثالث: كشف الأدعياء وإظهار البراءة من الكذابين، حيث يقول:"... بل في إظهار البراءة من الكذابين، والنكير على الخونة الباطلين نزهة للصادقين ورفعة للمحققين، ولو لم نكشف عن مخازي المبطلين ومساويهم ديانة، للزمنا إبانتها وإشاعتها حمية وصيانة..."[١٩].

المطلب الثاني

مفهوم التصوف واشتقاقه

عرض أبو نعيم عدة آراء لأصل اشتقاق كلمة التصوف وهي:

- أنه من الصفاء والوفاء عند أهل الإشارات[٢٠].
- أو أنه من الصوفانة وهي بقلة صغيرة[٢١].
- أو من صوفة وهي قبيلة كانت في الدهر الأول تجيز الحاج وتخدم الكعبة[٢٢].
- أو من صوفة القفا وهي الشعرات النابتة في متأخره[٢٣].
- أو من الصوف المعروف على ظهور الضأن[٢٤].

١٨- حلية الأولياء (٤/١).
١٩- حلية الأولياء (٤/١).
٢٠- حلية الأولياء (١٧/١).
٢١- الحلية (١٧/١).
٢٢- الحلية (١٧/١).
٢٣- الحلية (١٧/١).
٢٤- الحلية (١٧/١).

ثم إن أبا نعيم لا يمانع في كون الاشتقاق من الجميع، فإنه إن أخذ من الصوفانة فالاجيزاء القوم بما توحد الله عز وجل بصنعه ومن به عليهم من غير تكلف، كاكتفاء البررة الظاهرين [٢٥].

وإن أخذ من الصوفة التي هي من القبيلة فلأن المتصوف فيما كفى من حاله، ونعم من ماله، وأعطى من عقباه [٢٦].

وإن أخذ من الصوف المعروف فهو لاختيارهم لباس الصوف إذ لا كلفة للآدميين في إنباته وإنشائه، ثم قال: وقد ذكرنا شواهد في كتاب لبس الصوف مجوداً.[٢٧]

وأما مفهوم التصوف عند الصوفية، فقد أورد أبو نعيم أقوالاً كثيرة، قال في آخرها:"وذكرنا في غير هذا الكتاب كثيراً من أجوبة مشيختهم في التصوف واختلاف عباراتهم، وكل قد أجاب عن حاله"[٢٨].

ومن خلال عرض آراء أبي نعيم في مفهوم التصوف، فإنه ذكر ما عليه كبار المحققين، حيث قال الطوسي:" لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء وشعار الأولياء والأصفياء"[٢٩]، ومع تسليم القشيري بهذا الاشتقاق إلا أنه يقول: "أن القوم لم يختصوا بلبس الصوف"[٣٠]، ويؤيده ابن تيمية بقوله:"... وليس طريقهم مقيداً بلبس الصوف، لا أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به، لكن أضيفوا لكونه ظاهر الحال "[٣١].

٢٥- الحلية (١٧/١).
٢٦- الحلية (١٨/١).
٢٧- الحلية (٢٠/١)، فكأنه أخيراً يميل إلى هذا الرأي.
٢٨- الحلية (٢٣/٢٢/٢١/١).
٢٩- اللمع (٤).
٣٠- الرسالة القشيرية (٢٧٩).
٣١- الفتاوى (١٦/١١).

(ISSN: 2536 - 9555)

المطلب الثالث

أركان التصوف وأنواع كلام الصوفية

بعد عرض أبي نعيم لمفهوم التصوف أورد الأركان التي قام عليها التصوف فقال: فمباني المتصوفة المتحققة في حقائقهم على أركان أربعة: معرفة الله تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة النفوس وشرورها ودواعيها ومعرفة وساوس العدو ومكائده ومضاله، ومعرفة الدنيا وغرورها..."[٣٢]

وأما كلام المتصوفة فهو على ثلاثة أنواع: "فأولها إشاراتهم إلى التوحيد، والثاني كلامهم في المراد ومراتبه، والثالث في المريد وأحواله، ثم لكل نوع مسائل وفروع يكثر تعدادها "[٣٣].

وأركان التصوف وأنواعه تقسيم استقرائي عند المتصوفة ومخالفيهم لا إشكال فيه[٣٤].

المطلب الرابع

أقسام الصوفية

عرض أبو نعيم أن من مقاصد تأليف الكتاب الدفاع عن الصوفية، وتبيين حال المخالفين لهم والمنتسبين زوراً إليهم، ومن خلال كلامه يتبين أن أبا نعيم يرى أن الصوفية أربعة أقسام:

القسم الأول: المتحققين من المتصوفة وأئمتهم[٣٥].

القسم الثاني: المتنطعين المتعمقين من أهل الدعاوى[٣٦].

٣٢- الحلية (٢٤/١).

٣٣- الحلية (٢٣/١).

٣٤- انظر الرسالة القشيرية (١٦٨،٤٧٢)، الفتاوى لابن تيمية (٢٦/١١-٣٧)، ونشأة التصوف الإسلامي د. إبراهيم بيسوني (١٧).

٣٥- الحلية (٤/١).

القسم الثالث: الكسالى، المتشبهين بهم في اللباس والمقال، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال[٣٧].

القسم الرابع: المنتسبين للتصوف من الفسقة والفجار، والملاحدة الحلولية الكفار[٣٨].

وهذا التقسيم موافق لما يراه ابن تيمية، أن الصوفية ثلاثة أقسام:

- صوفية الحقائق.
- صوفية الأرزاق.
- صوفية الرسم.[٣٩]

المبحث الثاني

دراسة آراء وتعقبات ابن الجوزي على أبي نعيم

المطلب الأول

الرد على أبي نعيم في خلط التصوف بالزهد، وإيراده الصحابة من جملة الصوفية

ذكر ابن الجوزي من أهم التعقبات على صاحب الحلية، خلطه معاني التصوف بالزهد، حيث يقول:" إضافة التصوف إلى كبار السادات كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن وشعبة ومالك والشافعي وأحمد، وليس عند هؤلاء القوم خبر عن التصوف[٤٠]".

ثم ينبه ابن الجوزي إلى مسألة الخلط بين الزهد والتصوف فيقول: "...فإن قال قائل: إنما عني به الزهد في الدنيا وهؤلاء زهاد، قلنا: التصوف مذهب معروف

٣٦- الحلية (٤/١).

٣٧- الحلية (٤/١).

٣٨- الحلية (٤/١).

٣٩- الفتاوى (١٨/١١-١٩).

٤٠- صفة الصفوة (٢٥/١).

(ISSN: 2536 - 9555)

عند أصحابه لا يقتصر على الزهد، ولولا أنه أمر زيد على الزهد ما نقل عن بعضهم ذمه، فإنه قد روى أبو نعيم في ترجمة الشافعي رحمة الله عليه أنه قال: " التصوف مبني على الكسل، ولو تصوف رجل أول النهار لم يأتي الظهر إلا وهو أحمق "[٤١].

وقد نبه ابن الجوزي في موضع آخر إلى خطأ هذا الخلط بين التصوف والزهد، حيث يقول:" وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد، إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال، وترسموا بسمات فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتمون إليها في السماع والرقص..."[٤٢].

ثم يقول منبهاً على تبعات خطأ أبي نعيم في تأريخه للتصوف، فيقول: "... وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية، وذكر في حدود التصوف أشياء قبيحة، ولم يستحِ أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة..."[٤٣].

وهذا التعقب من ابن الجوزي صحيح، ويشهد له الصوفية أنفسهم، إذ إنهم فرقوا بين مفهوم التصوف والزهد، ففي مقامات التصوف ذكر القشيري[٤٤] جملة من أقوال

٤١- صفة الصفوة (٢٥/١).

٤٢- تلبيس إبليس لابن الجوزي (٤٠٨-٤٠٩).

٤٣- تلبيس إبليس (٤١٨).

٤٤- هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة، أبو القاسم القشيري، إمام الصوفية، من كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر، الملقب ب"زين الإسلام" ولد "بنيسابور"، توفي أبوه وهو صغير وتربي في كنف أمه، فتعلم الأدب والعربية، ثم رجل في تعلم الحساب وتعلم الأصول والفقه، وكان محققاً في علم الكلام ومفسراً متفنناً نحوياً لغوياً، أديباً كاتباً شاعراً، شجاعاً، له في الفروسية واستعمال السلاح الآثار الجميلة، وله مؤلفات عديدة: منها الرسالة القشيرية في التصوف، ولطائف الإشارات تفسير للقرآن في ست مجلدات، وغيرها، توفي سنة ٤٦٥هـ.انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٥٣/٥)، والبداية والنهاية (١١٤/١٢).

المتقدمة سواء من الصوفية أو من غيرهم، فنقل عن الجنيد: " الزهد خلو القلب كما خلت منه اليد "[٤٥]، وعن عبد الله بن المبارك[٤٦]:" هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر "[٤٧].

وفي المقابل أفردوا التصوف في مبحث مستقل حيث قال: " ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة، فيقال: رجل صوفي وللجماعة صوفية..."[٤٨]، ثم ذكر أقوالاً كثيرة في مفهوم التصوف، بما يوحي بأنه وصف آخر غير الزهد[٤٩].

أما الطوسي[٥٠]، فقد كان في تقسيمه لكتابه اللمع أوضح بياناً من القشيري، حيث ذكر بعد مقدمة الكتاب باب: البيان عن علم التصوف ذكر فيه ماهية

٤٥- الرسالة القشيرية للقشيري (٢٠٤).

٤٦- هو عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم أبو عبدالرحمن المروزي، وهو من بلدة مرو وهي من مدن خراسان، نشأ في أسرة متواضعة، فقط كان أبوه أجيراً بسيطاً يعمل حارساً لبستان أحد الأثرياء، غير أن والده كان تقياً ورعاً، طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، أخذ من بقايا التابعين وأكثر من الترحال والتطواف، إلى أن مات في طلب العلم وفي الغزو وفي التجارة والإنفاق على الإخوان وتجهيزهم معه إلى الحج، فقد رحل كثيراً في طلب العلم والحديث، لم يدع اليمن ولا مصر ولا الشام، ولا الجزيرة والبصرة ولا الكوفة، وكان مولعاً بكتابة العلم، فلقد كان الناس يعجبون من ولعه في كتابة العلم، فقيل له مرة: كم تكتب؟ قال: لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد، توفي في الأنبار بغرب العراق سنة ١٨١هـ.انظر: تاريخ بغداد (١٥٣/١٠)، وصفة الصفوة (١٣٤/٤)، وتاريخ دمشق (٣٠٥/٣٨)، وتهذيب التهذيب (٣٣٥/٥-٣٣٦)، وتهذيب التقريب (٣٨٦/٥-٣٨٧).

٤٧- الرسالة القشيري (٢٠٤)، ثم نقل أقوالاً أخرى كثيرة، انظر: الرسالة القشيرية (٢٠٢-٢٠٦).

٤٨- الرسالة القشيرية (٤٢٨).

٤٩- انظر الرسالة القشيرية (٤٢٨-٤٣٢).

٥٠- هو عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى بن يحيى، أبو نصر بن أبي الحسن السراج الطوسي، الصوفي، الملقب بطاؤوس الفقراء، كان على طريقة أهل السنة، فقد تنقل في أرجاء الإمبراطورية الإسلامية، وتنقل بين القاهرة وبغداد ودمشق والرملة ودمياط والبصرة وتبريز

(ISSN: 2536 - 9555)

التصوف، وما أختص فيه أهل التصوف عن غيرهم ثم في كتاب الأحوال والمقامات، أفرد للزهد باباً مستقلاً[٥١].

ثم إن مقام صحبة النبي صلى الله عليه وسلم لا يعدله عمل ولا تزكية، فوصفهم بأنهم صوفية انتقاص لقدرهم لهم، وقد مدحهم الله تعالى بقوله: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم" [٥٢]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:(لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) [٥٣].

المطلب الثاني

الرد على أبي نعيم في مفهوم التوكل

تعقب ابن الجوزي كلام أبي نعيم في التوكل حيث قال: "... ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها، فربما سمعها المبتدئ القليل العلم فظنها حسنة فاحتذاها، مثل ما روي عن أبي حمزة الصوفي أنه وقع في بئر فجاء رجلان فطماها، فلم ينطق حملاً لنفسه على التوكل بزعمه"[٥٤].

ثم قال ردًّاً عليه: "... ولو فهم معنى التوكل لعلم أنه لا ينافي الاستغاثة في تلك الحال، لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم من التوكل بإخفائه الخروج من

ونيسابور، وليس لدينا إلا القليل عن تاريخ حياة السراج، فقد كان ناشراً لعلوم القوم ومعارفهم مجداً في الاجتماع بأعلام التصوف الإسلامي، توفي في سنة ٣٧٨هـ. انظر: شذرات الذهب (٣/ ٥٤٣).

٥١- االلمع، المقدمة مع بيان أحوال الصوفية (١-٦٣)، وعرضه لمقام الزهد (٧٢-٧٤).

٥٢- سورة التوبة آية (١٠٠).

٥٣- أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

٥٤- صفة الصفوة ابن الجوزي (٢٧/١).

مكة واستئجار دليلاً، لأن التوكل هو اعتماد القلب على الله سبحانه وليس من ضروراته قطع الأسباب..."[٥٥].

والتوكل مقام عظيم من مقامات الإيمان، وترك الأخذ بالأسباب غلط وجهل، قال ابن تيمية:" وهذا وإن قاله طائفة من المشايخ فهو غلط، فهذه الأقوال وما أشبهها يجمعها أصل واحد، وهو أن هؤلاء ظنوا أن كون الأمور مقدرة يمنع أن تتوقف على أسباب مقدرة تكون من العبد..."[٥٦].

ومن متقدمي الصوفية، ألف الحارث المحاسبي كتاب المكاسب رد فيه على الغالطين في مقام التوكل، وقد توسع في الرد عليهم ومما استدل به، أن الله تعالى أمر العباد بالأكل من الطيبات والكسب وهو من الثقة به والتوكل عليه، ثم يقول:"فقد تبين فضل السعي والحركة على ما وصفنا وهي أعلى الدرجات"[٥٧]

المطلب الثالث

الرد على أبي نعيم في مسألة إضاعة المال

تعقب ابن الجوزي ما أورده أبو نعيم في الحلية من رواية عن الشبلي[٥٨] أنه كان إذا لبس ثوباً خرقه، وكان الخبز والأطعمة التي ينتفع بها النار بالنار، فلما سئل عن ذلك احتج بقوله تعالى:"ردوها علَّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق"[٥٩].

٥٥- صفة الصفوة (٢٧/١).

٥٦- الفتاوى (٢٢/١٠).

٥٧- المكاسب للحارث المحاسبي (٦٤-٦٥)، وقد توسع ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس في الرد على الغالطين في التوكل (٦٤٦-٦٦٩)، وابن تيمية في الفتاوى في مواضع عديدة من الجزء (١٠-١١).

٥٨- هو أبو بكر دلف بن جحدر الشلبي، ويقال: ابن جعفر، قال عبد الرحمن السلمي:" و يقال: اسمه جعفر بن يونس، خراساني الأصل، بغدادي المولد والمنشأ، كان أبوه من كبار حجاب الخلافة، صحب الجنيد وغيره، وصار أوحد وقته حالاً وعلماً وكان فقيهاً على مذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة و رواه، وقال الشعر، وله ألفاظ وحكم وحال وتمكن، لكنه كان

(ISSN: 2536 - 9555)

قال ابن الجوزي: "... وهذا غاية القبح لأن سليمان عليه الصلاة والسلام نبي معصوم فلم يفعل إلا ما يجوز له، وقد قيل: إنه مسح على نواصيها وسوقها وقال: أنت في سبيل الله وإن قلنا إنه عقرها فقد أطعمها الناس، فأما هذا الفعل من الشبلي فلا يجوز في شريعتنا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن إضاعة المال"[٦٠].

وما تعقب به ابن الجوزي أمر معلوم من الدين بالضرورة فإن الشرع نهى عن التبذير، وجعل جميع ما يملكه الإنسان مسؤولاً عنه أمام الله، ولكن الذي يظهر لي أن مثل هذه الحكايات لا يصح نسبتها عن متقدمي الصوفية أمثال الشبلي، وسكوت أبي نعيم عنها أمر غير مسلم، إذ من الأمانة في سرد الأقوال الرد على المخالف منها.

المطلب الرابع

تعقب أبي نعيم في سمات التأليف

بعد إيراد التعقبات الرئيسية على أبي نعيم في مسائل التصوف، أورد ابن الجوزي بعض التعقبات في سمات التأليف عند أبي نعيم فذكر منها:

١- ذكر أمور لا تليق بالكتاب مثل ترجمة مجاهد[٦١]، حيث أورد فيها قطعة من تفسيره وترجمة عكرمة[٦٢]، أورد فيها قطعة من تفسيره وترجمة كعب الأحبار[٦٣]بقطعة من التوراة، قال ابن الجوزي: وليس هذا موضع هذه الأشياء[٦٤].

يحصل له جفاف دماغ وسكر، فيقول أشياء يعتذر عنه، يقول الشبلي: كتبت الحديث عشرين سنة، وجالست الفقهاء عشرين سنة، توفي سنة ٣٨٧هـ ببغداد. انظر: طبقات الصوفية السلمي (١١٥)، وطبقات الأولياء ابن الملقن (١٣٠) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٧-٣٦٨).

٥٩- سورة ص آية (٣٣).

٦٠- صفة الصفوة (٢٩/١).

٦١- هو مجاهد بن جبر ويقال بن جبير أبو الحجاج المكي مولى عبدالله بن السائب القارئ، كان مجاهد مولى لبني مخزوم، عاش حياته في الكوفة، كان ورعاً، وكان أحد أوعية العلم،

وكان أعلم من بقي بالتفسير، قال عنه الذهبي:" إنه شيخ القراء والمفسرين"، وكان كثير السفر والترحال، فقد تتلمذ على ابن عباس، وسمع من ابن عمر وعلياً رضي الله عنهم أجمعين وروى عنه جماعة من التابعين، فقد صنف في التفسير، واختلف في سنة وفاته، قال ابن كثير مات مجاهد بالكوفة وهو ساجد سنة مائة، وقيل إحدى، وقيل اثنتين وقيل ثلاث مائة، وقيل أربع مائة، وقد جاوز الثمانين، وجاء في كشف الظنون أنه توفي ١٠٤، وجاء في العبر أنه توفي سنة ثلاث ومائة عن نيف وثمانين سنة.

انظر: تأريخ الإسلام (٨٣٩/١)، والبداية والنهاية (٩٥/٢).

٦٢- هو عكرمة مولى عبدالله بن عباس الهاشمي، أبو عبدالله، كان بربرياً من أهل المغرب، وهو من كبار التابعين، فقد كان عبداً لحصين بن أبي الحر العنبري فوهبه لعبد الله بن عباس حين جاء والياً على البصرة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ورحل عكرمة مولى بن عباس في طلب العلم إلى مكة والمدينة، والبصرة، واليمن والشام ومصر، وبلاد المغرب العربي وخراسان، وقال عكرمة طلبت العلم أربعين سنة وكنت أفتي في الباب وابن عباس في الدار، وحدث عن ابن عباس وعائشة، وأبي هريرة، ابن عمر، وعبدالله بن عمرو، وعقبة بن عامر، وعلي بن أبي طالب، وصفوان بن أمية، والحجاج بن عمرو الأنصاري وغيرهم كثير، حدث عن إبراهيم النخعي والشعبي، وعمرو بن دينار، وأبو الشعثاء، وقتادة وغيرهم كثير، قال عكرمة: لقد فسرت ما بين الوحيين، قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة، توفي عكرمة سنة ١٠٥هـ، وهو ابن ثمانين سنة.انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٤٩/٧)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣٤١/١)، وتهذيب الكمال للمزي (٢٦٩/٢٠)، وسير أعلام النبلاء (١٣/٥)، وحلية الأولياء (٣٢٧/٣)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢١٩/٥).

٦٣- كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق، اليماني، العلامة، الحبر، الذي كان يهودياً، فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، في خلافة أبي بكر الصديق، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وسرب كثير من أخبار الأمم الغابرة، وسرب كثيراً من الإسرائيليات إلى التراث العربي، خرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، عن عمر مئة وأربع سنين.سير أعلام النبلاء (٤٥٠/٣)، والأعلام (٢٢٧/٥)، وطبقات بن سعد (١٥٦/٧).

٦٤- صفة الصفوة (٢٢/١).

(ISSN: 2536 - 9555)

٢- إعادة الأخبار الكثيرة مثل ما ذكر في ترجمة الحسن البصري[٦٥] من كلامه، ثم أعاده في تراجم الصحابة، وكذلك في ترجمة أبي سليمان الداراني[٦٦].
٣- الإطالة في رواية أحاديث المترجم لهم، كما ذكر عن شعبة[٦٧]، وسفيان[٦٨]، ومالك[٦٩]، وعبد الرحمن بن مهدي[٧٠]، وأحمد بن حنبل[٧١]، قال بن الجوزي: "

٦٥- هو الحسن بن يسار، أبو سعيد، وكان أبوه مولى مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وقيل مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، وهو من أهل ميسان، نبطي بابلي عراقي قديم، سكن أبوه المدينة وأُعتق وتزوج بها في خلافة عمر بن الخطاب فولد له بها الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وأمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين تخدمها، حفظ القرآن في العاشرة، ونشأ في الحجاز بين الصحابة، ورأى عدداً منهم، وعاش بين كبارهم، مما دفعه إلى التعلم منهم، والرواية عنهم، وحضر الجمعة مع عثمان بن عفان وسمعه ويخطب، وشهد يوم استشهاده وكان عمره أربع عشرة سنة، وفي سنة ٣٧هانتقل إلى البصرة، ثم أصبح كاتبا لأمير خراسان عشر سنوات، ثم استقر في البصرة وأصبح أشهر عصره ومفتيها حتى وفاته، وكان أعلم أهل عصره، وكان له شيوخ كثر، وتتلمذ على يديه الكثير، توفي في البصرة ١١٠هـ، وعمره ثمانون. انظر: المذاهب والأديان في العراق، رشيد الخيون (٦٧).

٦٦- هو أبو سليمان عبدالرحمن بن عطية الداراني، أحد علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، من أهل داريا، قرية من قرى دمشق في سوريا، وصفه الذهبي بـ(الإمام الكبير، زاهد العصر)، ولد سنة ١٤٠هـ، روى عن سفيان الثوري وأبي الأشهب العطاردي وعبدالواحد بن زيد البصري وعلقمة بن سويد وصالح بن عبد الجليل، ورى عنه تلميذه أحمد الحواري وهاشم بن خالد، وحميد بن خالد العنسي، وعبدالرحيم بن صالح الداراني، إسحاق بن عبد المؤمن وعبدالعزيز بن عمير و إبراهيم بن أيوب الحوراني وأبو الجهم بن طلاب، توفي سنة ٢١٥هـ.انظر: طبقات الصوفية (٧٤-٧٩)، والرسالة القشيرية (٢٦-٢٧).

٦٧- هو شعبة بن الحجاج بن الورد، مولى الأشاقر، من تابعي التابعين، واسطي الأصل عالم أهل البصرة وشيخها، سكن البصرة منذ الصغر، وفيها توفي، رأى الحسن البصري وأخذ عنه، وحدث عن أنس بن سيرين وإسماعيل بن رجاء، وسلمة بن كهيل، وجامع بن شداد، وسعيد بن أبي سعيد المقبري، وجبلة بن سحيم، والحكم بن عتيبة، وقتادة بن دعامة وغيرهم الكثير، ورى

عنه أيوب السختياني، والأعمش ومحمد بن إسحاق إبراهيم بن سعد وسفيان الثوري وشريك بن عبدالله بن أبي نمر وسفيان بن عيينة وغيرهم.انظر: طبقات بن سعد الكبرى (٣٧١/٦)، و سير أعلام النبلاء (٢٣٠/٧-٢٥٢).

٦٨- هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، إمام الحفاظ في زمانه، كنيته أبو عبدالله، ولد في خلافة سليمان بن عبدالملك، وكان والده محدث من أصحاب الشعبي وخثيمة، ومن ثقات الكوفيين، ومن صغار التابعين، وتتلمذ الثوري على أيوب السختياني، وبهز بن حكيم، وجبلة بن سحيم، وجعفر الصادق، وحماد بن سليمان وغيرهم كثير ويقال أن شيوخه ستمائة شيخ، وحدث عنه القدماء من مشيخته وغيرهم خلق، منهم الأعمش، وابن جريج، وجعفر الصادق، وأبو حنيفة، والأوزاعي، وابن أبي ذئيب، ومسعر، ومعمر، وكلهم ماتوا قبله، وأبو إسحاق الفزاري، وسفيان بن عيينة، وغيرهم كثير، وقال الثوري: لا يفقه عبد حتى يعد البلاء نعمه، والرخاء مصيبة، توفي بالبصرة ١٦١هـ. انظر: طبقات بن سعد الكبرى (٣٧١/٦)، وسير أعلام النبلاء (٢٣٠/٧-٢٥٢)، والمصنف لابن أبي شيبة (٢٧٨/١٢ رقم ٣٦٦٨٢).

٦٩- مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث ينتهي نسبه إلى يعرب بن يشجب بن قحطان الأصبحي، جده أبو عامر صحابي جليل، أبو عبدالله، ولد في المدينة نشأ مالك في بيت اشتغل بعلم الأثر، فجده مالك بن أبي عامر من كبار التابعين، روى عن عمر ابن الخطاب وعثمان وطلحة بن عبيد الله وعائشة أم المؤمنين، وروى عنه بنوه، وقد عكف الإمام مالك على موائد العلم في أول سنة عشر ومائة، عكف على نافع ولازمه، وعن سعيد المقبري، ونعيم بن المجمر، ووهب بن كيسان، والزهري، وابن المنكدر، وعامر بن عبدالله بن الزبير وخلق سواهم من علماء المدينة، فقل ما روى عن غير أهل بلده، وكان له عدد من التلاميذ و لأصحاب لا يحصيهم عدداً، انتشروا في بلاد العلم الإسلامي، ففي مصر ابن قاسم وأشهب، وفي أفريقيا أسد بن الفرات، وفي الأندلس يحيى بن يحيى الليثي، وفي العراق انتشر مذهبه، من أتباعه: عبدالرحمن بن مهدي العنبري، وعبدالله بن مسلمة التميمي الحارثي، فعن هؤلاء وغيرهم بدأ انتشار المذهب المالكي، وله مؤلفات ومراسلات، أشهرها: الموطأ، توفي سنة ١٧٩هـ. انظر: الفهرست لابن النديم (٢٨٠-٢٨٤)، والكامل لابن الأثير (١٤٧/٦) والثقات للعجلي (٤١٧) وسير أعلام النبلاء (١٥٠/٧)، والمعونة على مذهب عالم المدينة للتعلبي (٥٨/١).

(ISSN: 2536 - 9555)

ومعلوم أن كتابه الذي يقصد به مداواة القلوب إنما وضع لبيان أخلاق القوم لا الأحاديث، ولكل مقام مقال، ثم لو كانت الأحاديث التي ذكرها من أحاديث الزهد اللائقة بالكتاب لقرب الأمر، ولكنها من كل فن"[٧٢].

٧٠- عبدالرحمن بن مهدي بن حسان بن عبدالرحمن العنبري، وقيل الأزدي مولاهم، البصري اللؤلؤي، يكنى بأبي سعيد، نشأ في بيت متواضع، فلم يكن أبوه من العلماء إطلاقاً، بل كان رجلاً عامياً، فقد توجه عبدالرحمن بن مهدي إلى طلب علم الحديث وهو ابن بضع عشرة سنة، وكان مبرزاً فيه منذ الصغر وسمع من سفيان الثوري وهو من أجل شيوخه، فكان ضابطاً للحديث ومعانيه وكان له نبوغ في ذلك، وأما بالنسبة لفقهه فقد كان مالكي المذهب نشره في العراق فهو تلميذ مالك وراوي موطئه وفقهه ومؤسس المدرسة المالكية العراقية، ولكنه يذهب مذهب تابعي أهل المدينة، توفي سنة ١٩٨هـ، وكان عمره ٦٣سنة. انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون (٢٣٨)، وكتاب الجرح والتعديل لأبن أبي حاتم.

٧١- هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني الذهلي، أبو عبدالله، ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ، فقد مات أبوه وهو صغير وعاش يتيماً رعته أمه، وهو أحد الأئمة الأعلام، وكان يعتني بنفسه فقد قال عبدالملك الميموني: ما أعلم أني رأيت أحداً أنظف ثوباً و لا أشد تعاهداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوباً وأشده بياضاً من أحمد بن حنبل، وطلب العلم وهو ابن خمس عشرة، وطاف في البلاد، وسمع علماء عصره، وكانوا يجلونه ويحترمونه في حال سماعه منهم، قال عبدالله بن أحمد: قال لي أبو زرعة: أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك ؟ قال: ذاكرته، فأخذت عليه الأبواب، قال الذهبي: هذه حكاية صحيحة في سعة علم أبو عبدالله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر، والأثر وفتوى التابعي، وما فسر، ونحو ذلك، وللإمام أحمد مؤلفات: منها كتاب الزهد، العلل، والناسخ والمنسوخ وغيرها، وكان رحمه الله يرفض تولية القضاء، ولقد ابتلي الإمام أحمد رحمه الله بفتنة القول بخلق القرآن، فثبت رحمه الله وعذب فصبر، وسمي بإمام أهل السنة والجماعة، وتوفي رحمه الله سنة٢٤٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧١/١١)، وصفة الصفوة (٣٤٠/٢)، والفهرست (٢٨١)، والبداية والنهاية (٣٤٩/١٠ – ٣٥٦).

٧٢- صفة الصفوة (٢٣/١-٢٤).

٤- ذكر أحاديث كثيرة باطلة وموضوعه قصد بذكرها تكثير حديثه، وتنفيق رواياته، ولم يبين أنها موضوعة[٧٣].

٥- السجع البارد في التراجم، الذي لا يكاد يحتوي على معنى صحيح خصوصاً في ذكر حدود التصوف[٧٤].

٦- إطالة الكلام فيما لا طائل فيه، قال ابن الجوزي: "وهذا باطل خلل في صناعة التصنيف، وإنما ينبغي للمصنف أن ينتقي"[٧٥].

٧- الخلط في ترتيب التراجم، فعل ذلك في تراجم الصحابة ومن بعدهم، فلا هو ذكرهم على ترتيب الفضائل ولا على ترتيب المواليد، ولا جمع أهل كل بلد في مكان "[٧٦].

وجميع تعقبات ابن الجوزي في سمات التأليف صحيحة، ما عدا ما ذكره في أحاديث موضوعة وباطلة، فإنه أخطأ بقوله: " قصد بذكرها تكثير حديثه"، وهو سوء ظن من ابن الجوزي، فإن الأصل بالمسلم البراءة ولا يعلم عن نية أبي نعيم في هذا، فالأولى أن يخطأ فيما ذكر دون الدخول بنيته، ثم إن كتب الوعظ والتصوف والفضائل مليئة بالأحاديث الموضوعة بشكل كبير، فهي سمة غالبة على من صنف في هذا الباب، والتساهل في رواية الموضوعات فيها مشهورة معروفة.

٧٣- صفة الصوة (٢٤/١).

٧٤- صفة الصفوة (٢٤/١).

٧٥- صفة الصفوة (٢٦/١).

٧٦- صفة الصفوة (٣٠/١).

(ISSN: 2536 - 9555)

المطلب الخامس

تعقب أبي نعيم في أشياء فاتته

أما الأمر الأخير من تعقبات ابن الجوزي فهو ما يتعلق بأشياء فاتت أبا نعيم في الحلية وهي:

١- أنه لم يذكر سيد الزهاد وإمام الكل وقدوة الخلق وهو نبينا صلى الله عليه وسلم، فإنه المتبَع طريقة، المقتَدى بحاله[٧٧].

٢- أنه ترك ذكر خلق كثير، قد نقل عنهم من التعبد والاجتهاد الكبير [٧٨].

٣- أنه لم يذكر من عوابد النساء، إلا عدداً قليلاً، ومعلوم أن ذكر العابدات مع قصور الأنثوية، يورث المقصر من الذكور، فقد كان سفيان الثوري[٧٩]ينتفع برابعة[٨٠].

وما ذكره ابن الجوزي من عدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم صحيح، ولكن ما ذكره من ترك خلق لم يترجم لهم فيه نظر، إذ إنه ليس من شرط المصنف أن يستوعب جميع من انتسب للتصوف أو الزهد، فهو أمر شاق جداً، وأما ما ذكره من أنه لم يذكر من عوابد النساء فهو صحيح، ولكن ليس هذا التعقب على أبي نعيم فقط، فإنه غالب على من ترجم للصوفية والزهاد لم يذكر العابدات من النساء، كالقشيري في الرسالة، حيث ترجم لثلاث وثمانين لم يذكر فيهم امرأة،

٧٧- صفة الصفوة (٣١/١).

٧٨- صفة الصفوة (٣١/١).

٧٩- سبق ترجمته ص (١٩).

٨٠- هي رابعة بنت إسماعيل العدوي، أم عمرو، ولدت في مدينة البصرة، من أب عابد فقير، وتوفي والداها وهي صغيرة، ثم بيعت لآل عتيك، وهي امرأة صالحة، زاهدة، عابدة، شاعرة، وهي من الرواد الأوائل في التصوف الإسلامي، ماتت سنة ١٣٥هـ، ودفنت بظاهر القدس من شرقيه.انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٣/٧)، ووفيات الأعيان (١٨٢/١)، صفة الصفوة (٣١/١).

وكذلك ابن الملقن في طبقات الأولياء، حيث لم يترجم فيه لأحد من النساء، وإنما ذكر ترجمة السيدة نفيسة[٨١]، ورابعة العدوية، في ذيل على الطبقات بعد ذلك[٨٢].

وكذلك السلمي في الطبقات، أورد تراجم ثلاثاً وعشرين لم يذكر منهم أحد من النساء العابدات، وعليه فإن التعقب لا يخلو من نظر.

الخاتمة

أهم نتائج البحث:

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج نجملها في النقاط التالية:

أولاً: إن كتابة تأريخ التصوف اعتراها كثير من الإشكالات المنهجية ومن ضمنها ما كتبه أبو نعيم في حلية الأولياء.

ثانياً: إن كتاب الحلية يعد أول كتاب موسوعي في تأريخ التصوف وترجمة رجالاته، ونقل مروياتهم.

ثالثاً: جانب الصواب أبا نعيم في الحلية في بعض السمات المنهجية منها:

١. اقحامه للصحابة في تراجم التصوف، ومعلوم أن قدر الصحابة وفضلهم أعظم بكثير من غيرهم ممن جاء بعدهم.

٢. ايراده بعض هفوات الصوفية وشطحاتهم في التصوف دون التعليق عليها، في مسائل كالتوكل وإضاعة المال.

٨١- هي السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قال المقريزي: إن أمها أم ولد تزوجها إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر فولدت له ولدين: القاسم و أم كلثوم ولم يعقبا وبعده تزوجت بالحسن بن زيد فولدت له نفيسة، وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد عليه فيقال: إنها حجت ثلاثين حجة وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار، توفيت في مصر، في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين.انظر: وفيات الأعيان (٤٢٣/٥)، و العبر (٣٥٥/١)، و البداية والنهاية (٢٦٢/١٠).

٨٢- انظر الترجمات في ذيل الطبقات (٤٠٧-٤٠٨).

(ISSN: 2536 - 9555)

٣. ايراده الأحاديث الموضوعة والباطلة دون تمييز أو تنبيه.
٤. الإطالة في ما لا طائل منه في النقول.
٥. التكرار في ذكر الأخبار والحكايات.

رابعاً: أن غالب تعقبات ابن الجوزي على أبي نعيم كانت تعقبات صحيحة.

خامساً: استفاد ابن الجوزي من أبي نعيم كثيراً واختصر الحلية في كتابه صفة الصفوة، وزاد عليه بعض المواضع، والفضل في الجمع الأول وحشد التراجم لأبي نعيم.

سادساً: يعتبر ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس ومقدمة صفة الصفوة أول من انتقد التصوف بشكل منهجي بعد استقراء وتتبع دقيق.

سابعاً: أهمية دراسة وقراءة التأريخ في نشأة المذاهب وبيان حالها، ومقابلة المناهج المختلفة لاستخلاص منهجية واضحة للحكم على الآراء ونقدها.

أهم المراجع:

١) الأديان والمذاهب بالعراق، رشيد الخيون، منشورات الجمل، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
٢) الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العالم للملايين، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.
٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ، للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: سالم ابن غتر بن سالم الظفيري، دار الصميعي – الرياض، د.ت.
٤) الأنساب، أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، الطبعة الأولى –١٤٠٨هـ.
٥) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: د.عبد الله التركي وآخرون، هجر للنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٦) تأريخ الإسلام، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ.

٧) التأريخ الكبير، للإمام البخاري، تحقيق: محمد الدباسي، دار الناشر المتميز – السعودية.

٨) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٩) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٠) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لعلي بن الحسن بن عساكر، دار القدسي دمشق، ١٣٤٧هـ.

١١) تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٢) تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٣) تلبيس إبليس، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: أ.د. أحمد بن عثمان المزيد، وأ.د. علي بن عمر السحيباني، مدار الوطن للنشر، ١٤٣٧هـ.

١٤) تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة نصوصه، شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٥) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٦) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٧) الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

١٨) الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، طبعة استانبول، بدون تاريخ.

(ISSN: 2536 - 9555)

١٩) الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١هـ، ١٩٥٢م.

٢٠) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٢١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق: مأمون الجنان، دار الكتب العلمية.

٢٢) الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: عبد الكريم العطا، مكتبة أبي حنيفة، بدون تاريخ.

٢٣) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة١٤١٢هـ.

٢٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، دار الفكر، طبعة ١٤١٤هـ.

٢٥) صفة الصفوة، جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: محمد فاخوري، دار المعرفة، الطبعة الثانية –١٣٧٩هـ.

٢٦) طبقات الأولياء، ابن الملقن، دار المعرفة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٧) طبقات الحنابلة، القاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي، تحقيق: د.عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٢٨) طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب السبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، دار هجر للنشر، الطبعة الثانية –١٤١٣هـ.

٢٩) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، تحقيق: نور الدين شريبان، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

٣٠) الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٣١) طبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى – ١٤٠٣هـ.
٣٢) العبر في خبر من غبر، للحافظ الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات والنشر –الكويت، ١٩٦٠م.
٣٣) الفهرست، محمد بن إسحاق ابن النديم، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م.
٣٤) في التصوف الإسلامي وتاريخه، رينولد ألين نيكلسون، ترجمة: أبو العلا عفيفي، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٨هـ.
٣٥) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.
٣٦) اللمع في التصوف، لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور
٣٧) دار الكتب الحديثة – مصر، ومكتبة المثنى – بغداد، ١٣٨٠هـ–١٩٦٠م.
٣٨) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة ١٤١٦هـ.
٣٩) المصنف، للحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي شيبة، تحيق: حمد عبد الله الجمعة، ومحمد إبراهيم اللحيدان، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.
٤٠) معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة –السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٤١) المعونة على مذهب عالم المدينة، أبو محمد عبد الوهاب الثعلبي، تحقيق: حميش عبد الحق، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة – السعودية.

(ISSN: 2536 - 9555)

٤٢) المكاسب والورع والشبهة وبيان مباحها ومحظورها واختلاف الناس في طلبها والرد على الغالطين فيه، للحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٤٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، دار الكتب العلمية، ١٣٨٣هـ.
٤٤) نشأة التصوف الإسلامي، د. إبراهيم بسيوني، دار المعارف، الطبعة الأولى – ١٩٩٨م.
٤٥) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، للعيدروس، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٠٥هـ.
٤٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.